المحور الأول: المفهوم والتطور

ثانياً: نشأة وتطور المجتمع الدولي

1. نشأة المجتمع الدولي

في ظل المجتمعات البدائية لم يكن المجتمع الدولي موجود حيث كانت القبيلة هي الوحدة السياسية العليا، ناهيك عن افتقار هذه الشعوب للتنظيم وغياب القواعد القانونية التي توطر العلاقات التي تنشأ بين هذه الشعوب.

1.1. المجتمع الدولي في العصر القديم

1.1.1. المجتمع الدولي في الحضارات القديمة

ارتبطت الحضارات القديمة الشرقية منها والغربية بعلاقات فيما بينها تجاوزت حدودها الجغرافية غير أنها كانت محدودة، بسبب النظرة العدائية التي طبعت علاقة هذه الحضارات.

1.1.1.1. المجتمع الدولي في الحضارات الشرقية القديمة

1.1.1.1.1. الحضارة الفرعونية

شهدت حضارة بلاد الرافدين والحضارة المصرية علاقات نشطة بينهما تم تنظيمها في حالات السلم عن طريق ايفاد الرسل أو عن طريق ابرام المعاهدات، كمعاهدة السلام قادش لعام 1259 ق.م والتي نصت على مبدأ السلام الدائم من خلال احترام الحدود وتسوية النزاعات باللجوء إلى التحكيم، وحرمة الرسول، كما نظمت مسائل الحرب من خلال التأكيد على تسليم أسرى الحرب.

2.1.1.1.1. الحضارة الهندية

شهدت الحضارة الهندية علاقات مع غيرها من الحضارات، وهي العلاقات التي تم تنظيمها عن طريق قانون مانو سواء في حالات السلم والحرب، حيث أسند قانون مانو مهمة إدارة هذه العلاقات إلى الرسول، كما تضمن عدد من القواعد التي نظمت علاقات الحضارة الهندية مع غيرها من الشعوب في حالة الحرب منها: -منع تخريب الحقول الفلاحية وقطع الأشجار

- منع قتل العدو إذا استسلم أو العدو النائم أو أسير الحرب.

3.1.1.1.1. المجتمع الدولي في الحضارة الصينية

عرفت الحضارة الصينية علاقات مع غيرها من الحضارات، وقد تأثر تنظيم علاقات الحضارة الصينية بالمبادئ الفلسفية للفيلسوف كونفيشيوس القائمة على القيم الأخلاقية، لذلك ارتكزت علاقات هذه الحضارة مع غيرها من الحضارات على استخدام الوسائل السلمية والدبلوماسية، لذلك أرست عدد من القواعد التي تنظم علاقاتها الدبلوماسية كحماية الرسل وقواعد استقبالهم واسبقيتهم وكيفية ممارسة مهامهم، كما تجلت من خلال عقد المؤتمرات.

2.1.1.1. المجتمع الدولي في الحضارة الغربية

نتناول من خلالها وضع المجتمع الدولي في كل من الحضارة اليونانية الرومانية القديمة.

1.2.1.1.1. المجتمع الدولي في الحضارة اليونانية

اقتصرت علاقات الاغريق بخلاف غيرهم من الحضارات الأخرى على العلاقات التي نشأت بين المدن اليونانية التي كانت تتضوي تحتها، ومن القواعد القانونية التي أقرها الاغريق في تنظيم علاقات المدن اليونانية في وقت الحرب قاعدة اعلان الحرب قبل الدخول فيها، واللجوء إلى المفاوضات وعقد المؤتمرات التي كان يطلق عليها الامفكتونية، أو اللجوء إلى التحكيم كوسيلة لحل خلافاتهم قبل البدء في الحرب، واحترام اللاجئين إلى المعابد، أما في حالة السلم فقد عملت المدن اليونانية على تنظيم علاقاتها عن طريق ابرام المعاهدات.

وبخصوص علاقة الاغريق مع غيرهم من الشعوب فكانت تطغى عليها النظرة التمييزية، رغم أن المدن اليونانية دخلت في علاقات محدودة جدا مع هذه الشعوب، وهي العلاقات التي تم تنظيمها بواسطة المعاهدات التي كانت تبرمها المدن اليونانية مثل معاهدة مدينة أثينا مع مقدونيا عام 346 ق. م.

2.2.1.1.1. المجتمع الدولي في الحضارة الرومانية

عرفت الحضارة الرومانية اتساعا جغرافيا كبيرا ساهم في دخولها في علاقات مع غيرها من الشعوب والمجتمعات خاصة بعد تزايد عدد الأجانب، هذا ما دفع الرومان إلى تنظيم علاقاتهم مع

هذه المجتمعات في حالات السلم من خلال قوانين تختلف عن القوانين التي كانت تطبق على الرومان الذين خضعوا لقانون خاص بهم أطلق عليه القانون المدني Jus civil

أما الأجانب أو الغرباء من الشعوب غير الرومانية التي كانت ترتبط مع روما بمعاهدات صداقة أو ضيافة أو تبعية، حيث كان يطبق عليهم قانون يسمى قانون الشعوب Jus Gentium أما علاقات الرومان مع غيرهم من الشعوب والمجتمعات التي لم ترتبط معهم بمعاهدات فقد تم تنظيمها بموجب قانون أطلق عليه القانون الإلهي المقدس Jus Taorum.

كما تولى الرومان تنظيم علاقاتهم مع هذه الشعوب والمجتمعات في زمن الحرب عن طريق رجال الدين الذين وضعوا القواعد أطلق عليها قانون السلام والحرب يوس فيتال Jus Fetial

2. المجتمع الدولي في العصر الوسيط

تمتد هذه الفترة التاريخية للمجتمع الدولي من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر (476-1500)، وقد شهد هذا العصر العديد من الأحداث التي انعكست على المجتمع الدولي

1.2. المجتمع الأوروبي المسيحي

أدى سقوط الإمبراطورية الرومانية بأوروبا في عام 476 من القرن الخامس ميلادي إلى انقسام المجتمع الأوروبي إلى إمبراطورية رومانية شرقية وأخرى غربية، وقد أدى هذا الانقسام بدوره إلى بروز ممالك وإمارات أوروبية تميزت بعلاقاتها بما يلي:

1.1.2. الصراع بين البابا والإمبراطور على الاستئثار بالسلطة

ساهم دور الكنسية في الحياة السياسية في أوروبا في تأثير الديانة المسيحية على العلاقات داخل المجتمع الأوروبي خاصة من ناحية الحد من الحروب، وكذلك من ناحية توجيه العلاقات الخارجية للمجتمع الأوروبي من خلال منع الممالك والإمارات الأوروبية المسيحية من الدخول في علاقات مع الدول غير المسيحية.

2.1.2. ظهور نظام الاقطاع

ميز المجتمع الأوربي خلال القرنين 10 و13 نظام الاقطاع، حيث كانت كل دولة تتجزأ فيها السلطة على نحو متدرج تبدأ من سلطة الملك والبابا باعتبارهم السلطة العليا. أما من الناحية الاقتصادية فقد قام نظام الاقطاع في أوروبا على الزراعة ومنح الملك للنبلاء الأراضي مقابل خدمتهم العسكرية، بينما كان الفلاحون مجرد رقيق حيث كان نظام الرق يمثل الجانب الاجتماعي لنظام الاقطاع في المجتمع الأوربي.

3.1.2. الحروب والحملات الصليبية

تميزت أوروبا منذ أواخر القرن 11 إلى القرن 15 في علاقاتها مع غيرها من الشعوب بحملات صليبية واسعة، خاصة بعد إقرار المسيحية كديانة رسمية ووحيدة في كامل أرجاء الممالك والامارات الأوربية، وقد كان لتوحيد الديانة على مستوى المجتمع الأوربي انعكاس على علاقته مع غيره من المجتمعات والشعوب، حيث دخلت أوروبا وتحت غطاء الحملات الصليبية في حالة حرب نظمت قواعدها الكنسية الذي أقرت مبدأ التمييز بين الحرب العادلة وغير العادلة.

2.2. المجتمع الدولي الإسلامي

أدى نشوء الدولة الإسلامية وإرساء دعائمها في عام 632 ميلادي إلى دخول المجتمع الإسلامي في علاقات مع المجتمعات الأخرى، حيث تم تنظيم المجتمع الإسلامي وفق مبادئ الشريعة الإسلامية.

1.2.2. تقسيم المجتمع الإسلامي

جاء تنظيم الدولة الإسلامية لعلاقتها مع غيرها من المجتمعات والشعوب يختلف من مجتمع لآخر حيث قسم المجتمع إلى دار الاسلام ودار الحرب ودار العهد.

- دار الإسلام

تشمل الأقاليم التي يدين سكانها بالإسلام وتسري عليهم أحكام الشريعة الإسلامية أي المسلمين زيادة على المسلمين تضم دار الإسلام كذلك غير المسلمين وهم:

أهل الذمة: وهم رعايا الدولة الإسلامية من غير المسلمين من الديانات الأخرى، تعاقدوا مع دار الإسلام بموجب عقد ذمة يلتزمون فيه بدفع جزية مقابل التزام دار الإسلام بضمان حقوق مماثلة لرعاياها المسلمين وحمايتهم واحترام عقيدتهم.

المستأمنون: هم الأجانب غير المسلمين الذين يدخلون دار الإسلام بغير نية الإقامة فيها بموجب عقد يسمى (عقد الأمان).

- دار الحرب

تضم الأقاليم الخارجة عن سيطرة المسلمين، ولا ترتبط معهم بعهد، ومع ذلك دخلت الدولة الإسلامية في علاقة مع دار الحرب في حالات السلم أو الحرب كالروم والفرس، وذلك من خلال تبادل الرسل (المبعوثين الدبلوماسيين)، والمفاوضات والمعاهدات.

- دار العهد (دار الحياد)

تشمل الأقاليم غير الخاضعة لحكم المسلمين والتي تم تنظيم العلاقات المتبادلة بينهما عن طريق عهد يحدد حقوق وواجبات كلا الطرفين كالتزام دار الإسلام: بصد أي عدوان عن دار العهد، وضمان الشعائر الدينية، وعدم التدخل في شؤون دار العهد.

مقابل التزام دار العهد بدفع مبلغ معين من المال مقابل توفير الحماية لهم، والسماح بنشر الدعوة الإسلامية، والالتزام بعدم العدوان والاشتراك في حرب على دار الإسلام مع غير المسلمين.

1.2.2. المبادئ التي قام عليها المجتمع الإسلامي

تميزت علاقات المجتمع الإسلامي بغيره من الشعوب والمجتمعات بنوع من التنظيم حيث خضعت في تنظيمها للقواعد والمبادئ المستمدة من الشريعة الإسلامية التي أقرت العديد من القواعد التي

القواعد التي تحكم علاقة المسلمين بغيرهم من المجتمعات سواء في حالات السلم والحرب، منها عدم التمييز والوفاء بالعهود- المبادئ الإنسانية الواجب مراعاتها أثناء الحرب كمبدأ التفريق في المعاملة بين المحاربين وغير المحاربين وحماية المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ، ومبدأ معاملة الأسرى، ومبدأ التمييز بين الأهداف المدنية والأهداف العسكرية.

قائمة المراجع:

- أحمد سرحال، قانون العلاقات الدولية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1990.
- تونسي بن عامر، قانون المجتمع الدولي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994.
- عبد الرحمان لحرش، المجتمع الدولي، التطور والأشخاص، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر 2007.
- محمد نصر محمد، الوسيط في القانون الدولي العام، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، ط 1، 2012.
- علي خليل إسماعيل الحديثي، القانون الدولي العام-المبادئ والأصول، دار النهضة العربية، القاهرة، 2010.
- عصام العطية، القانون الدولي العام، الطبعة الخامسة، دون دار نشر، 1992.
- Robert Kolb, Quelques réflexions sur la "communauté internationale", African yearbook of international law, 2002, vol. 10.

أستاذة/ بوعقبة نعيمة